المركز الجامعي بالوادي

مجلة

دورية أكاديمية محكمة يصدرها المركز الجامعي بالوادي

علوم اللغة العربية وآدابها

العدد الأول - ربيع الأول 1430هـ / مارس 2009 م

منشورات المركز الجامعي بالوادي

مجلة
علوم اللغة العربية وآدابها

دورية أكاديمية محكمة متخصصة
يصدرها معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي بالوادي

العدد الأول : ربيع الأول 1430 هـ/ مارس 2009م.

ISSN-1112-914X

المدير المسؤول :
الأستاذ الدكتور عزالدين حفطاري مدير المركز الجامعي

رئيس التحرير :
رئيس قسم الأدب العربي- بشير مناعي.

هيئة التحرير:

أ.صفية علية. أ.حرزولي العزوزي
أ.كرشو لزهر أ.شبرو عبد الكريم
أ.بن حركات الجمعي

توجه جميع المراسلات الى:

العنوان: رئيس تحرير مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ،معهد الآداب واللغات
-المركز الجامعي بالوادي-
ص ب: 789 ولاية الوادي 39000-الجزائر.
الهاتف:032223004
Email/adab-39@ hotmail.com

الهيئة الاستشارية للمجلة

أ.د بودربالة الطيب-جامعة باتنة.

أ.د خان محمد - جامعة بسكرة.

أ.د بوعمامة محمد-جامعة باتنة.

أ.د دامخي عبد القادر -جامعة باتنة.

أ.د تبرماسين عبد الرحمن-جامعة بسكرة.

أ.د صالح مفقودة-جامعة بسكرة.

د. علي عالية-جامعة باتنة.

د. مصطفى الضبع- جامعة مصر.

د. عبد الرحمن تركي-المركز الجامعي /الوادي.

د.فورار امحمد بلخضر -جامعة بسكرة.

د. شلواي عمار- جامعة بسكرة.

د. عادل محلو-المركزالجامعي /الوادي.

د. أحمد زغب-المركزالجامعي /الوادي.

د. يوسف عروج-جامعة الجزائر.

د. عبد السلام ضيف -جامعة باتنة.

د. بخوش علي- جامعة بسكرة.

د. آمال منصور-جامعة بسكرة.

د. خلخال منصور-جامعة باتنة.

د.سعيد بن ابراهيم-جامعة باتنة.

قائمة المحتويات

الرقم	رقم الموضوع	رقم الصفحة
01	الأشياء وتشكلاتها فى القصة القصيرة أ.د مصطفى الضبع	09
02	أبجديات في فهم جماليـات الانزياح أ. بن دحمان عبد الرزاق	35
03	أدب الأطفال أهميته ودوره في تلبية الحاجات النفسية لدى الطفل أ. كعب حاتم	47
04	التناص الذاتي عبر العتبات في رواية "الشمعة والدهاليز" أ.حسيني فتيحة	54
05	الدعـائم الثلاث للصوفية (المحبة-الفناء-التوحد والبقاء) أ. مكسح دليلة	73
06	الإحالات الدينية للعنوان في قصيدة"غلواء"لإلياس أبي شبكة - مقاربة سيميائية - أ. يوسف العايب	81
07	بنية التكرار في شعر عز الدين ميهوبي عولمة الحب عولمة النار انموذجا أ. نجاح مدلل	88
08	ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي أ. كادة ليلى	102

09	المشهد الثقافي الجزائري. قراءة سيميولوجية في مسرحية"اللثام" ل"عبد القادر علولة". أ. فتحي بحه	116
10	قراءة نماذج في رثاء مدن وممالك أندلسية د . فورار امحمد بن لخضر	129
11	قواعد الاحتجاج النحوي عند سعيد الأفغاني * أ . طواهرية مسعود	139
12	الإحالة ودورها في اتساق قصيدة "ساعة التذكار" لإبراهيم ناجي أ . بوبكر نصبة	148
13	جمالية الخطاب الأدبي على ضوء الدراسات النقدية الحديثة أ . زهيرة بنيني	158
14	مناهج تحليل الأخطاء اللغوية أ . مسعودة ساكر	169
15	علم الجمال والأدب أ . حمادة حمزة	182
16	تقنية القاص في السيرة الشعبية العربية -من القصص الشرقي إلى القصص المقامي- د.عبد المجيد دقياني	204
17	اللّغز الشّعبي بين النشأة و التطور أ. كمال بن عمر	215
18	" رواية الأزمة المكتوبة باللّغة الفرنسية وإشكالية الترجمة " أ.عامر رضا و أ.كريبع نسيمة	237

19	التكرار في عينية أبي ذؤيب الهذلي أ/دهينة ابتسام	252
20	الفضاء المكاني في رواية "الورم" لمحمد ساري الأستاذة/ سعاد طويل	261
21	الفضائيات العربية بين اللغة الإعلامية والاستعمال اللغوي أ .مصمودي دليلة	279
22	أمل دنقل ..ألوان الفجيعة الفادحة و فردوس الطفولة المفقودة ؟ دراسة سيميائية جمالية ا. لحسن عزوز	299
23	بنية الشخصية في رسالة "النَّوابع والزَّوابع" لـ"ابن شُهيد الأندلسي" د.محمد عبد الهادي	311
24	فواصل القرآن عند الفراء أ .أحمد الشايب عرباوي	324
25	دلالة الحركة الإعرابية في رواية ورش مقارنة بغيرها من القراءات المتواترة أ/ نور الدين مهري	335
26	دور ملوك الطوائف في الأندلس في الحركة الثقافية والأدبية. د/ بلقاسم دكدوك	348

فواصل القرآن عند الفراء

أ .أحمد الشايب عرباوي

الملخص :

لم يكن الفراء نحويا فحسب ، إنما كان من الذين اشتغلوا بعلوم القرآن ، وعلى وجه الخصوص ما يعرف بالفاصلة القرآنية والتي تعني نهايات الآيات ، كان الفراء أول من أطلق مصطلح الفاصلة ، ولقد حاول أن يوجد علاقة بينها وبين جوانب النحو والصوت والدلالة ، فضلا عن كون الفاصلة صورة من صور الإعجاز في القرآن .

The summary

" Al-farra" was not a grammarian only , but he was studing the holly Koran , specially the phenomene called " Al – faceala" . " he was the first one has used this word (al-faceala) which means the end of the verset in Koran . Al-farra has tried to have a relation between Al-faceala and the other side of language , as the grammar ,sound , and semantic .

Finally , Al- faceala , was an importan kind of " Al-iidjaz" in Koran .

تمهيد

القرآن الكريم هو كلام الله المعجز الذي ما فتئت ظواهره المختلفة محل دراسة وبحث على مدار التاريخ ، من هذه الظواهر : ظاهرة الفاصلة

فما الفاصلة ؟ وما علاقة النحاة بها ؟ ولماذا الفراء بالذات ؟

اختلف العلماء – قدماء ومحدثون - في تعريف الفاصلة القرآنية :

فمن القدماء : أبو بكر الباقلاني [1] الذي يراها حروفا متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني[2] ، ومنهم أبو عمرو الداني[3] الذي يحدد الفاصلة بأنها كلمة آخر الجملة[4] ، غير أن الزركشي[5] يعدها آخر كلمة في الآية .

أما المحدثون فمن أشهرهم : محمد الحسناوي الذي يعرفها بقوله " الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر ، والتفصيل: توافق أواخر الآي في حروف الرويّ ، أو في الوزن ، مما يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس . "[6]

وإذا شئنا أن نخرج بتعريف للفاصلة يجمع شتات ماسبق ، فإنه يمكن القول بأن :

" الفاصلة هي نهاية الآية التي تؤثر على المضمون بدلالاتها وعلى الإيقاع بمقاطعها ، فيتم بها المعنى وتستريح لها النفس "

هذا هو التعريف العام للفاصلة ، أما تحديدها بشكل دقيق فأمر صعب ، واختلاف العلماء في تعريفها يدل على ذلك .[7]

إن الكلام عن الفاصلة والبحث فيها إنما جاء متأخرا ، بمعنى أنه لم يكن متزامنا مع البحث النحوي إلا قليلا ، ولم تقع دراسة الفاصلة ظاهرة متفردة متميزة في القرآن الكريم إلا على يد علماء الدراسات الإعجازية من أمثال الذين سلف ذكرهم . كالباقلاني والزركشي والسيوطي وغيرهم .

وهكذا يكون الفراء متميزا في تناوله المبكر لهذا الموضوع ، إذ اعتنى بالفاصلة عناية ملفتة للنظر في كتابه "معاني القرآن " وهي العناية التي لم نلمسها عند السابقين للفراء أو المعاصرين له ، فلم يستعمل الخليل ولا سيبويه مصطلح الفاصلة بالمفهوم سالف الذكر ، إذ ألحقها الخليل بعلم العروض[8] ، أما سيبويه فأدرجها في باب ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف وهي الياءات[9] ، وجاء بأمثلة من القرآن هي قوله تعالى : ﴿ والليل إذا يَسْر ﴾ (الفجر 3) و ﴿ ما كُنَّا نَبْغ ﴾ (الكهف 12) .

ولم يتحدد مفهوم الفواصل القرآنية إلا على يد الفراء .

فمن الفراء ؟ وما قصته مع الفاصلة ؟

الفراء هو أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله النحوي الكوفي ،اختلف منذ نشأته إلى حلقات القراء والمحدثين والمفسرين كما درس اللغة والنحو على يد أبي جعفر الرؤاسي والكسائي من الكوفة ويونس بن حبيب من البصرة ، كما اتصل بالخليفة العباسي المأمون ، ولقي منه كل عون على التصنيف والتأليف ، من أشهر كتب الفراء : معاني القرآن ، المقصور والممدود ، الأيام والليالي ، المذكر والمؤنث ... توفي سنة 207 هـ

هذا هو الفراء النحوي الكوفي الذي أثارت انتباهه فواصل القرآن ، في الوقت الذي لم يلتفت إليها معاصروه وهذا الذي يبدو غريبا لأول وهلة ، غير أن الغرابة تزول عندما ندرك أن علماء النحو الأول اهتموا هم أيضا بعلوم القرآن وبخاصة ما يتعلق بالقراءات القرآنية واختلافها ، بل إن تأملاتهم في قضايا اللغة والنحو إنما كان منشؤها تأملهم في الأسلوب القرآني ، ولذلك كان القرآن عندهم منطلقا ومُتّكأ أكثر من أن يكون غاية وهدفا . وإنّ تصَفُّحًا عابرًا لكتاب الفراء " معاني القرآن " ليجعلُنا نلاحظ الآتي :

- الإهتمام بتباين القراءات القرآنية واتخاذ مواقف مختلفة إزاءها تفضيلا وتصويبا وإقرارا وربما تخطئة
- اعتماد الأسلوب القرآني وسيلة لتأصيل بعض قواعد النحواللغة
- الإستعانة بكلام العرب لفهم القرآن

ونكتفي بالمثال الآتي للتوضيح :

جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ من يوم الجُمُعة ﴾ (الجمعة 12)، يقول الفراء :

" خففها الأعمش فقال (الجمْعة) ، وثقلها عاصم وأهل الحجاز ، وفيها لغة (جُمَعَة) ، وهي لغة لبني عقيل ، ولو قرئ بها كان صوابا ، والذين قالوا (الجمَعة) ذهبوا بها

إلى صفة اليوم أنه يوم جُمَعَة ، كما تقول : رجل ضُحَكة للذي يكثر الضحك [10].

الفراء والفواصل :

يكاد يجمع الدارسون على أن أول من وضع مصطلح " الفاصلة " هو الفراء[11] ، فهو يحاول أن يؤصل ما يطرأ على السياق القرآني بسبب الفواصل في أي جانب ، نحويا كان أم صرفيا أم صوتيا .

أولا : الجانب النحوي :

كثيرا ما يربط الفراء بين مسائل نحوية معينة وفواصل القرآن ، من ذلك :

1 - تعليله حذف الفاء من جواب الإستفهام في قوله تعالى ﴿ أتتخذنا هزؤا قال ... ﴾ (البقرة 67) ، يقول الفراء :

" ... وهذا في القرآن كثير بغير الفاء ، وذلك لأنه جواب يستغني أوله عن آخره بالوقفة عليه ، فيقال : ماذا قال لك ؟ فيقول القائل : قال كذا وكذا . فكأن جسن السكوت يجوز به طرح الفاء . وأنت تراه في رؤوس الآيات – لأنها فصول – حسنا [12] "

ثم يورد أمثلة شبيهة بذلك في القرآن يثبت بها صحة ما يذهب إليه ، نحو قوله سبحانه ﴿ قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ (الشعراء 25،26) [13] وكذلك قوله تعالى : ﴿ قال فَمَا خطْبُكُم أيُّها المُرسَلُون . قالوا إنَّا أرسِلنا ... ﴾ (الذاريات 31، 32) .

وهكذا يفهم من كلام الفراء أنه يجوز حذف الفاء إذا وقعت في جواب استفهام انتهت به الآية السابقة ، بحيث لاتحذف إذا أريد بها العطف وهذا شأن العرب في كلامها ، يقول " لا يقولون : قمتُ فعلت ، ولا قلت قال ، حتى يقولوا : قلت فقال ، وقمت فقام ، لأنها نسق وليست باستفهام يوقف عليه " [14] .

2 – تعليل الرفع في قوله تعالى ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُون ﴾ (البقرة 18) ، يقول :

" رفعن وأسماؤهن في أول الكلام منصوبة [يقصد قوله تعالى في الآية السابقة : ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُون ﴾] لأن الكلام تم ، وانقضت به آية ، ثم استؤنفت (صمٌّ بكمٌ عميٌ) في آية أخرى ، فكان أقوى للإستئناف ، ولو تم الكلام ولم تكن آية لجاز الإستئناف ... فأما ما جاء في رؤوس الآيات مستأنفا فكثير ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللّه اشترَى مِنَ المؤمنين أنفُسهُم وأموالهم بأنَّ لهم الجنَّة ... وَذلك الفوز العظيم ﴾ (التوبة 112) ثم قال جل وجهه ﴿ التَّائِبُون العَابِدُون الحَامِدُون ﴾ (التوبة 113) بالرفع في قراءتنا [15] .

3 – قد تكون الفواصل سببا في الخروج عن قاعدة نحوية مطّردة من ذلك :

- رفع الفعل المضارع بدلا من نصبه بعد "الفاء" في قوله تعالى ﴿ وَلاَ يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعتَذِرون . ﴾ (المرسلات ، 36) يقول الفراء : " رويت بالفاء أن يكون نسقا (أي عطفا) على ما قبلها ، واختير ذلك لأن الآيات بالنون ، فلو قيل فيعتذروا لم يوافق الآيات . وقد قال الله جلّ وعز ﴿ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِم فَيَمُوتُوا ﴾ (فاطر – 36) بالنصب ، وكلٌ صواب .[16]

- جواز إضافة المصدر إلى صاحبه ، في مثل قوله تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَت الأَرْضُ زِلْزَالَها ﴾ ، (الزلزلة/1) يقول الفراء : " هذا بمنزلة قوله [تعالى] ﴿ ويُخرِجُكُم إِخْرَاجًا ﴾ (نوح18)... فأضيف المصدر إلى صاحبه وأنت قائل في الكلام : لأعطِيَنَّك عطيتك ، وأنت تريد عطية ، ولكن قرّبه من الجواز موافقة رؤوس الآيات التي جاءت بعدها [17]

- قد تستعمل صيغة (فاعل) ويراد بها المفعول كما ورد في قوله تعالى﴿ خُلِقَ مِن ماءٍ دافِقٍ ﴾ وهذا موافقة لرؤوس الآيات ، وجريا على لغة من لغات العرب ، يقول الفراء " أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم ، أن يجعلوا المفعول فاعلا إذا كان في مذهب نعت ، كقول العرب : هذا سر كاتم ، وهمّ ناصب ، وليل نائم ، وعيشة راضية ، وأعان على ذلك أنها توافق رؤوس الآيات التي هنّ معهنّ " [18]

- قد يحذف المفعول به إذا دلّ على ذلك السياق ، وهذا في مثل قوله تعالى : ﴿ ما وَدَّعَكَ ربُّكَ ، وَمَا قَلَى ﴾ أي (وما قلاك) ، حذف المفعول هنا لدلالة الأول عليه في (ما ودّعك) ، وحذْف المفعول الثاني يحقق الإنسجام الصوتي لهذه الآية مع ما قبلها وما بعدها ، يقول الفراء في تفسير قوله سبحانه ﴿ وَمَا قَلَى ﴾ : " يريد وما قلاك ، فألقيت الكاف ، كما تقول :(قد أعطيتك وأحسنت) ومعناه : أحسنت إليك ، فتكتفي بالكاف الأولى من إعادة الأخرى ، ولأن رؤوس الآيات بالياء ، فاجتمع ذلك فيه . " [19]

ثانيا : الجانب الصوتي :

ما دامت فواصل القرآن بانسجامها وتناغمها تحقق ذلك الإيقاع الصوتي الجميل في السورة الواحدة ، فلاجرم أن تكون سببا أساسيا في إحداث ظواهر صوتية ربما فيها خروج عن الأصل ، من هذه الظواهر :

1 – حذف الياءات التي في أواخر الكلمات ، نحو قوله تعالى :

- ﴿ الذي خَلَقَنِي فَهُوَ يهْدِين ، والذِي هُوَ يُطْعِمُنِي ويَسْقِين ، وإذا مرضْتُ فهو يَشْفِين ﴾ (الشعراء 78، 79، 80)

- ﴿ فيقولُ ربِّيَ أكرمن ... فيقولُ ربِّيَ أهانَن ﴾ (الفجر 16 ، 18)

- ﴿ لكُم دينُكُم ولِيَ دين ﴾ (الكافرون 6)

ويقرر الفراء أن للعرب أن تحذف الياء مرة وتثبتها أخرى، فمن حذفها اكتفى بالكسرة التي قبلها دليلا عليها ، ومن أتمها فقد أجراها على الأصل ، غير أن الحذف يتأكد عندما يكن رؤوس آي في مثل قوله تعالى :

-﴿ رَبَّنا وتَقبَّلْ دعاءِ ﴾ (إبراهيم ، 40)

- ﴿ فستعلمون كيف نذير .ولقد كذَّب الذين من قبلهم، فكيف كان نكير ﴾ (الملك 17 ، 18)

ويضيف الفراء: " وذلك أنهن رؤوس الآيات ، لم يكن في الآيات قبلهن ياء ثانية فأجرين على ما قبلهن ، إذ كان ذلك من كلام العرب "[20]

2 – قلب الألف ياء في مثل قوله تعالى :

﴿ أقم الصلاة لذكري﴾ طه 14 ، وتقرأ (لذكرا) ، يقول الفراء : " فمن قال (ذكرا) فجعلها بالألف كان على جهة الذكرى ، وإن شئت جعلتها ياء إضافة حولت ألفاً لرؤوس الآيات " [21] .

فـ (ذكرى) – عند الفراء – إما أن تكون من باب (الذكرى) ، أو أنها (ذكري) اشتملت على ياء المتكلم التي هي مضاف إليه ، لكنها قلبت ألفا لرؤوس الآيات ، وهذا جائز عند العرب ، ثم استشهد بقول الشاعر :

أطوِّف ما أطوِّفُ ثم آوي إلى أمًّا ويرويني النقيع [22]

والشاهد في البيت هو (أمًا) التي هي في الأصل : أمِّي [23]

3 – تفضيل وجه من وجوه القراءة على آخر لأن الوجه المفضل يحقق الإنسجام الصوتي الذي تحدثه الفواصل ، يظهر هذا في قوله تعالى : ﴿ يقولون أإنَّا لَمَردُودُون في الحافِرة ، إذا كُنَّا عِظامًا نَخِرَة ﴾

(النازعات 11) ، اختلف القراء في الكلمة الأخيرة ، هل هي نخرة أم ناخرة .

قرأ بالأولى (نَخِرَة) الجمهور من أهل المدينة ومكة والشام والبصرة ، وقرأ بالثانية (نَاخِرَة) آخرون من كبار القراء كأبي عمرو بن العلاء وابن عباس وحمزة والكسائي [24] ، وممن اختار القراءة الثانية الفراء والطبري وآخرون .

يقول الطبري : " ...وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا (نَخِرَة) بغير ألف بمعنى (بالية) ، غير أن رؤوس الآي قبلها وبعدها جاءت بالألف فأعجب إليّ بذلك أن تلحق (نَاخِرَة) بها ليتفق هو وسائر رؤوس الآيات ، لولا ذلك كان أعجب القراءتين إليّ حذف الألف منها " [25] .

أما الفراء فيقول : " ... و (نَاخِرَة) أجود الوجهين في القراءة ، لأن الآيات بالألف . ألا ترى أن (نَاخِرَة) مع (الحافِرَة) و (السَّاهِرَة) أشبه بمجيء التنزيل . " [26]

ثانياً : الجانب الدلالي

يظهر أول الأمر أن أثر الفواصل في النص القرآني إنما ينحصر في الجانب الإيقاعي بحيث يحدث تتالي الفواصل المتشاكلة نغما صوتيا جميلا يضفي على النص

الكريم مهابة وجمالا في الوقت نفسه ، لكن شأن الفواصل يتجاوز الإيقاع إلى الدلالة ، وهذا الذي انتبه إليه الفراء عندما أشار إلى أن بعض الآيات تحمل معنيين : معنى ظاهري غير مقصود ،وإنما تضمنته الآية بسبب الفواصل ، ومعنى خفي هو المقصود ودليله في ذلك آيتان هما :

الآية الأولى : قوله سبحانه ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن 40)

بشر الله سبحانه في الآية عباده الصالحين بجنتين ، غير أن الفراء يقول بأنهما جنة واحدة وإنما جيء بالمثنى بدل المفرد مراعاة لفواصل السورة ، وهذا – في رأيه – ليس غريبا عن لغة العرب ، فقد يؤتى بالمثنى في الكلام ويراد به المفرد ، واستدل على ذلك بشاهدين من كلام العرب ، يقول الفراء :

" أنشدني بعضهم[27] :

وَمَهْمَيْنِ قَذْفَيْنِ مَرْتَيْنِ قَطَعْتُهُ بالأمْرِ لاَ بالسَّمْتَيْنِ

يريد : مهمهًا وسمتا واحدا ، وأنشدني آخر [28]:

يسعى بكيداء ولهذمين قد جعل الأرطاة جنتين

وذلك أن الشعر له قوافٍ يقيمها الزيادة والنقصان ، فيحتمل ما لا يحتمله الكلام [29] ."

بهذين الشاهدين إذًا استدل الفراء على جواز إرادة المفرد بذكر المثنى ، فالشعر - كما قال - في كلام العرب يحتمل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سواه .

غير أن ما ذهب إليه الفراء في تفسير الآية الكريمة قد أثار ردودا متباينة من قِبَل الدارسين ، ونستطيع أن نصنف هذه المواقف إلى أربع فئات :

- فئة اكتفت برواية مقولة الفراء دون تعليق ، وعلى هذا سار أغلب المفسرين
- بعضهم نقل المقولة ثم عبّر عن عدم تبنيه لها ، لكن بشكل عابر ، أعني جلال الدين السيوطي عندما تعرض لشرح قوله تعالى : ﴿ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (الزخرف 31) ، يقول : " قال الفارسي :(أي من إحدى القريتين) ، وليس منه ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ ، وأن المعنى جنة واحدة خلافا للفراء "[30] .
- بعضهم حاول أن يلتمس العذر للفراء في شرحه الآية على الوجه المذكور ، يقول الزركشي : " وكأنّ الملجئ للفراء إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى ﴾ (النازعات 40 ، 41) وعكس ذلك [ما جاء في قوله سبحانه]: ﴿ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ (طه 117) "

أراد الزركشي أن يقول إن دليل الفراء هو الآية الأولى التي تعد بجنة واحدة كل من خاف مقام ربه ، وعليه فإنّه إذا أمكن إيراد التثنية مع قصد

الإفراد فإنّ العكس جائز ، بمعنى أنه يمكن إيراد الإفراد مع قصد التثنية ،وهذا ما تضمنته الآية الثانية حيث ورد (تشقى) بدلا من (تشقيا) .

أما من لم يستسغ مقولة الفراء أصلا وشن عليه بسببها هجوما عنيفا فهو ابن قتيبة[31] الذي يقول رادًّا على الفراء : " ... وهذا من أعجب ما حمل عليه كتاب الله ، ونحن نعوذ بالله من أن نتعسف هذا التعسف ، ونجيز على الله – جلّ ثناؤه – الزيادة والنقصان لرأس الآية "[32]

بل ذهب به التهكم حتى قال : " لو أن قائلا قال في خزنة النار إنهم عشرون وإنما جعلهم الله تسعة عشر لرأس الآية ، ما كان هذا إلا كقول الفراء !! "[33]

ثم يوضح ابن قتيبة وجهة نظره في المسألة بقوله : " ..إنما يجوز في رؤوس الآي أن يزيد هاء السكت كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴾ (القارعة 10) وألفاً كقوله سبحانه : ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّه الظُّنُونَا ﴾ (الأحزاب 10) ، لا يزيل معنى عن جهته ولا يزيد ولا ينقص ، فأما أن يكون الله عز وجل وعد جنتين فيجعلهما جنة واحدة من أجل رؤوس الآي ، فمعاذ الله ! "

الآية الثانية : في السياق نفسه وهو تأثير الفواصل في معنى الآية ، وذلك في قوله سبحانه :

﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ (الشمس 12) ، يذهب الفراء في تفسير الآية إلى أنه من الممكن أن يقال (أشقيَاها) بدلا من (أشقاها) لأنهما رجلان ، والعرب إذا أضافت (أفعل) إلى أسماء جعلوها مفردة ولو كان المتحدث عنه مثنى أو جمعا ، فيقولون : هذان أفضل الناس ، من ذلك قول الشاعر وهو يلوم ابنين له :

يا أخبث الناس كل الناس قد علموا لو تستطيعان كنًّا مثل مِعضَاد

(34)

هذا أهم ما أورده الفراء بخصوص هذه الآية في كتابه " معاني القرآن " ، غير أنه لم يذكر فيما إذا كانت الفاصلة هي السبب في استعمال (أشقاها) بدلا من (أشقياها) أم لا .[35]

غير أن السيوطي يفصح عن ذلك في تعليقه على الآية المذكورة بقوله :

" ... قال الفراء : إنهما رجلان (قدار) وآخر معه ، ولم يقل أشقيَاها للفاصلة "[36]

والآن لنا أن نتساءل : إلى أي مدى كان الفراء مصيبا في ما ذهب إليه ؟

لا بد من الإشارة إلى أمرين :

أولهما : أن علاقة الفواصل بمعنى الآية لا ينحصر في المثالين المذكورين أو في ما يشبههما ، لكنْ لما كان الموضوع متعلقا بالفراء دون غيره فإنه اكتفي بما ذكر .

ثانيهما : أن فهم الفراء للآية الخامسة و الأربعين من سورة الرحمن بأن الله سبحانه وعد عباده الصالحين جنة واحدة وليس جنتين كما ورد في الآية ، هذا الفهم فيه نظر ، وذلك للأسباب الآتية :

1 - لو كانت الجنتان جنة واحدة ، ما كان يستعمل معهما ضمير المثنى عند الحديث عنهما في الآيات التالية ، كما هو واضح في قوله تعالى : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ . فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ .فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ . فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ . ﴾ (الرحمن الآيات 47 ...51 ثم يتكرر الحديث عن الجنتين مرة لأخرى في الآية الثالثة والخمسين ، يقول تعالى :

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِن اسْتَبرَقٍ وَجَنَا الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾

2 – اعتمد الفراء في تأويله للآية المذكورة على أنه يمكن أن تكون هناك زيادة أو نقصان في كلام العرب وخصوصا في الشعر وجاء بالشاهدين ، لكنْ إذا كان ذلك جائز في الشعر فهل يصدق ذلك على القرآن ؟ وما كان القرآن كالشعر ، ولن يكون . قال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ، إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرآنٌ مُبِينٌ ﴾ (يس 68) .

هذا بخصوص الآية الأولى أما الآية الثانية وهي الآية الثانية عشرة من سورة الشمس ، فقد ذكر الفراء بشأنها أن القرآن قال (أشقاها) ولم يقل (أشْقَيَاهَا) ، فهما في الحقيقة رجلان : قدار وآخر معه .

لكنْ السؤال الذي نطرحه ههنا : هل هما رجلان حقا كما ذهب الفراء ؟

جاء في تفسير ابن كثير :

" ﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وهو أحيمر ثمود وهو الذي قال الله ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُم فَتَعَاطَى فَعَقَر ﴾ (القمر 29) "[37].

وبهذا المعنى قال أغلب المفسرين ، يقول الألوسي في تفسيره :

" (أشقاها) أي أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو من تصدّى معه لعقرها من الأشقياء اثنان على ما قال الفراء أو أكثر . " [38]

وهكذا يظهر أن مذهب الفراء في تفسير الآيتين فيه من الشطط ما لا يخفى فحق لابن قتيبة أن يثور عليه ثورته الي لمسناها من أجل أن يدافع عن القرآن ولغة القرآن .

الخاتمة

الفاصلة في القرآن ظاهرة متميزة ، كان الفراء من الأوائل الذين تفطنوا إليها ، إن لم يكن أولهم على الإطلاق ، على اختلاف بين الدارسين ، بحيث كان في ذلك أسبق من المشتغلين بعلوم القرآن .

التفات الفراء إلى الفاصلة في كتابه " معاني القرآن " ، جعله بذلك يخدم القرآن والعربية معاً من خلال :

- منح الفاصلة القرآنية قيمة نحوية وصوتية ودلالية
- استلهام كلام العرب في استنباط قواعدَ في النحو والصرف كانت الفاصلة هي السبب في إبداعها .
- الكشف عن جانب من جوانب الإعجاز القرآني

الهوامش

1 – الباقلاني هو محمد بن الطيب (338 – 403هـ) قاضٍ من كبار علماء الكلام ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق : إحسان عباس ، ط1 بيروت ،ج4 ، ص269

2- الباقلاني ، إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعرف ، مصر ، 1971 ط3 ، ص 57 ،58

3 – هو أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني القرطبي (371 – 444 هـ) الحافظ المقرئ ، أحد الأئمة في علم القرآن ، روايته وتفسيره . ينظر : عبد الحي العكبري ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) ، ج2 ، ص 272

4 – الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، لبنان ، ج1 ، ص 53

5 – هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (745 – 794) عالم بفقه الشافعية والأصول . ينظر : المصدر نفسه ، مقدمة التحقيق ، ص5 .

6 – محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، دار الأصيل ، حلب ، سوريا (د . ت) ص 26

7 – أحمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، 1992 ، ص 351

8 – الخليل بن أحمد الفراهيدي ، معجم العين ، تحقيق الأستاذين : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرّائي ، دار ومكتبة الهلال ، مادة (فصل) ج7 ، ص 126 ، 127 .

9 – البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج1 ، ص 54

10 – أبو زكريا الفراء ، معاني القرآن ، تحقيق : محمد علي النجار ويوسف نجاتي ، عالم الكتب ، بيروت ،
(د. ت) ج3 ، ص 156

11 – أحمد مكي الأنصاري ، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، القاهرة ، 1964 ، ص 302 – محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، ص 37

12 – الفراء ، معاني القرآن ، ج 1 ص 44

13 – المصدر نفسه ، ج1 ، ص 45

14 - المصدر نفسه ، ج1 ، ص46

15 – نفسه ، ج1 ص 16

16 – نفسه ، ج3 ، ص226
17 – نفسه ، ج3 ، ص283
18 – نفسه ، ج3 ، ص 255
19 – نفسه ، ج3 ، ص 275
20 – نفسه ، ج1 ص201
21 – نفسه ، ج2 ص176
22 – البيت لم يُنسب لشاعر معين ، غير أن ابن منظور أورده برواية فيها (يكفيني) بدلا من (يرويني) النقيع : الخالص من اللبن يبرد ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ط1 ، 1990 ، مادة : نقع ، ج8 ، ص 359
23 – الفراء ، معاني القرآن ، ج2 ، ص 176
24 – القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : أحمد البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ط2 ، 1372 هـ، ج 19 ، ص 173 ، 197
25 – الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، 1405 ، ج 30 ، ص 35
26 – الفراء ، معاني القرآن ، ج 3 ، 231
27 – ينسب البيت لخطام المجاشعي
المهْمَهُ : الفلاة . القذّف : البعيد من الأرض . المَرْت : الأرض لا كلأ بها ولا ماء ، جمع أمرات . والتثنية في البيت كله غير مقصودة ، إنما المقصود هو الإفراد . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ص89
28 – الشاعر غير معروف
الكيداء : القوس . اللهذم : السهم . الأرطاة : نوع من الشجر .
29 – الفراء ، معاني القرآن ، ج3 ، ص 118
30 – جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، ط1 ، 1967 ، ج2 ، ص 105 .
31 – هو أبو محمد عبد الله بن مسلم المعروف بان قتيبة (213 – 276 هـ) من أئمة الأدب في عصره ، كثير التصانيف . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، ط1 (د.ت) ج3،ص42
32 – ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ، تحقيق : أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، 1978 ، ص440
33 – الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص 65
34 – المعضاد : السيف الممتهن
35 – الفراء ، معاني القرآن ، ج3 ، ص 268
36 – السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج1 ، ص65

37 – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ، بيروت 1401 هـ ج4 ، ص 518

38 – الألوسي ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : محمد الجنيد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت 1404 هـ ، ج30، ص145